

صدمة كاميرا الجوال

الشيخ. محمد صالح المنجد

النبرة:

إذا كانت أعراض المسلمين في خطر، إذا كانت الفاحشة تشيع في الدين آمنوا، إذا كانت التقنية الحديثة تُستعمل لمعصية الله، إذا كانت روائح الفضائح تزكم الأنوف، إذا هُتكت الأعراض، وعمت البلايا، واخترقت الحرمات، فمن هو المسئول؟ وماذا نفعل في هذا الحال؟ نشكو إلى الله تعالى ظلم الظالمين.

عناصر الخطبة:

- خطر إشاعة الفاحشة.
- زمن إشاعة الفاحشة.
- حكم التصوير في الإسلام.
- النظر الحرم.
- خطورة كاميرا الجوال.
- الغيرة يا أهل الغيرة.

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

خطر إشاعة الفاحشة:

فيا عباد الله، إذا كانت أعراض المسلمين في خطر، إذا كانت الفاحشة تشيع في الدين آمنوا، إذا كانت التقنية الحديثة تُستعمل لمعصية الله، إذا كانت روائح الفضائح تزكم الأنوف، إذا هُتكت الأعراض، وعمت البلايا، واخترقت الحرمات، فمن هو المسئول؟ وماذا نفعل في هذا الحال؟.

نشكو إلى الله تعالى ظلم الظالمين، قال الله سبحانه وتعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الدِّينِ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}** (سورة النور: 19)، أن تشيع: تظهر وتنتشر، يجبون ذلك، ويعملون له، ويختارون ويقصدون، ظهور القبيح، ظهور الفاحشة، يجبون أن يذيع الزنا في المجتمع كما قال

قتادة رحمه الله: أن يظهر الزنا، وفعل القبيح، ومن أعان على نشرها فهو كالذي يقود النساء والصبيان إلى الفاحشة، وكذلك كل صاحب صنعة تعين على ذلك.

عباد الله، إن الله يغار، وغيره الله أن تنتهك حرمانه، يحبون أن تشيع منه ما يكون بالقول، ومنه ما يكون بالفعل، قال شيخ الإسلام رحمه الله: وأما ما يكون من الفعل بالجوارح، فكل عمل يتضمن محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا داخل في هذا، بل يكون عذابه أشد، فإن الله قد توعد بالعذاب على مجرد محبة أن تشيع الفاحشة، فكيف بالذي يعمل على ذلك؟ فإذا كان الذي يجب فقط أن تشيع له عذاب أليم في الدنيا وفي الآخرة، وليس فقط في الآخرة، فكيف إذا اقترن بالحبه أقوال وأفعال لإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا؟ حشر الله امرأة لوط مع قومها في العذاب؛ لأنها رضيت بفعلهم.

عباد الله، إن هذه من صفات المنافقين، ولماذا نهي العلماء عن الشعر الفاضح والغزل الذي فيه التشبيب بالنساء، ووصفهن؛ لأنه يثير الغرائز، ولأنه يدعو إلى إشاعة الفاحشة، ماذا لهم؟ عذاب أليم موجه في الدنيا والآخرة، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، الله يعلم؛ ولذلك شرع الأحكام، الله يعلم المفسد من المصلح، الله يعلم شدة العذاب، وأنتم لا تتخيلونه، ولا تقدر أن تتصوروا عذاب الله في الآخرة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (سورة النور: 21)، لا لطرق الشيطان، لا لخطوات الشيطان التي يدخل فيها العباد في المعاصي.

زمن إشاعة الفاحشة:

عباد الله، نحن في زمن إشاعة الفاحشة، تجارة الجنس في العالم تقدر بسبع وخمسين بليون دولار في العام الماضي، منها أربعة ونصف بليون دولار لتجارة الجنس عبر الهاتف، وأربعة بلايين عبر الإنترنت وأقراص الحاسوب، اثنا عشر في المائة من إجمالي مواقع الشبكة لتجارة الجنس ونشره، ثلاثمائة واثان وسبعون مليون صفحة، وتحمل حركة البريد الإلكتروني يومياً قرابة اثنين بليون ونصف رسالة تتضمن مواضيع وإعلانات جنسية لإثارة الشهوات، ونشر الفاحشة، خمس وعشرون في المائة من إجمالي عدد طلبات مستخدمي الشبكة في محركات البحث في موضوعات في الفاحشة والحرام والجنس، وأكثر من مائة ألف صفحة إنترنت توفر صوراً فاضحة للأطفال.

وهكذا جاءت جوانات الباندا وغيرها لتعلن انضمامها إلى مسلسل القذارة في نشر هذه الفواحش، صور ثابتة، وأخرى متحركة، وأنواع التصوير من الكاميرات الثابتة، وتصوير الفيديو، والتصوير التلفزيوني، وعندما كانت كاميرا الجوال تنقل خمسة عشر ثانية فقط في التصوير ظهرت البرامج التي يصور بها الآن ثلاث ساعات، وتقنية البلوتوث التي ترسل مقاطع الفيديو والصور لأشخاص في محيط هذا الجوال بعشرات الأمتار، وستمتمت المسافة بتقدم هذه التقنية ليكون كل من في محيط جوال من هذه الجوانات يلتقط هذه اللقطات المختلفة.

وتقول الأخبار: أنتجت كوداك طابعة تعمل بتقنية البلوتوث لدى معظم أجهزة الجوال الحديثة بالتعاون مع شركة نوكيا ليصبح بالإمكان تحقيق الاتصال بين الطابعة وأي جوال لديه هذه التقنية ليستفيد -بزعمهم- أصحاب أجهزة الجوال ذات الكاميرا المدججة، وظهرت لهم مواقع تشجع على الإبداع -بزعمهم- في مجال التصوير، وتمكن صاحب الجوال من حفظ ألبوم الكتروني من الصور الفوتوغرافية.

انتشار عجيب لهذه التقنية التي ظهرت في عام ألفين وواحد، ثم انتشرت في العالم انتشاراً عجيباً.

إن المبيعات تزداد، وفي عام ألفان وثمانية يتوقع أن يكون نصف الجوال في العالم في الكرة الأرضية مزود بهذه الكاميرات، وربما قبل ذلك، وبعض الشركات لن تنتج أيضاً في موديلاتها الجديدة جوالاً بغير كاميرا، تسعين مليون هاتف محمول من هذا النوع في أمريكا الشمالية وحدها، وستون في المائة من جوالات اليابانيين مزودة بالكاميرا، وماذا لدينا نحن؟ ربما نسبة أكبر من هذا، فإننا نتسارع ونسارع -بزعمنا- إلى اقتناء التقنية في أحدث صورها؛ تباهاً واختيالاً وتظاهراً، وهذه المظهرية التي ذبحت الكثيرين.

عباد الله، إن التقنية نعمة لكنهم يجعلونها نقمة، إنها تحول إلى وسيلة اليوم لنشر الفاحشة والفضيحة في الذين آمنوا.

وطلعت الأخبار، وتناقلت المواقع، وعمت الصحف، وساحات الحوار تلك الأحداث الأليمة التي تحدث لبنات المسلمين في بلدان المسلمين: "((لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب))"، قالت زينب رضي الله عنها: أهلك وفينا الصالحون؟! قال: ((نعم، إذا كثر الخبث))" [رواه البخاري (3346)، ومسلم (2880)] أهلك وفينا الصالحون؟! ((نعم، إذا كثر الخبث))، فسروه بالزنا وبالفسوق والفجور، وهكذا أين إقامة دين الله، والغيرة على حرمات الله يا عباد الله؟ إن القضية خطيرة جداً، وإن سفينة المجتمع ستغرق إذا لم نقم لله بالحجة، إذا لم يقم بما أمرنا به.

حكم التصوير في الإسلام:

عباد الله، لماذا التساهل في التصوير أيضاً؟ وماذا قال العلماء في التصوير؟ إن الذي يتمعن في كلام العلماء في التصوير ليجد حكماً عجيبة، كلما تقدم الوقت تدل الأحداث على أن هذا الحكم جدير بالعناية، والاهتمام، والحرص، إن هذا التصوير، هذا التشكيل، جعل الهيئة، الإتيان به على صفة معينة، هذه السمة والعلامة، هذه الصورة، سواء كانت مرسومة، أو مطبوعة، أو منقوشة، منحوتة، نافرة، أو مستوية، سواء كانت بكاميرا عادية، أو فيديو، أو ديجتالية، أو تلفزيونية، ونحو ذلك، كانت مرسومة، أو بالآلة، كلها صور وتصوير في الحقيقة، وماذا ستقول عنها غير التصوير؟

عباد الله، إنها كارثة عظمى كبيرة عندما ينتشر، بحاجة وبغير حاجة، إن النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم)) [رواه البخاري (5951)، ومسلم (2108)]، وقال: ((إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون)) متفق عليه [رواه البخاري (5950)، ومسلم (2109)]، وقد لعن

النبي صلى الله عليه وسلم المصورين [رواه البخاري (5347)]، وقال: ((كل مصور في النار)) [رواه مسلم (2110)]، وكذلك فإن العلماء قد بين كثير منهم أن ذلك يشمل جميع أنواع الصور إلا ما كان لضرورة، أو حاجة. إن التصوير لغرض التعليم في الحالات الطبية وغيرها، أو لأجل الإثباتات في الأمور الأمنية وغيرها، أو لأجل التصوير على التدريبات العسكرية، والتقاط ما ينفع المسلمين من صور الأعداء ونحوها، وغير ذلك من أنواع التصوير للحاجة، أو للضرورة كتتبع المجرمين ونحوهم، إن هذا التصوير للحاجة، أو للضرورة قد بين العلماء جوازه.

لكن الآن يتم التصوير لحاجة ولغير حاجة، وتنتشر الصور، وتنقل الصور، وعلى من تعرض الصور، يا عباد الله؟! صور نساتنا وبناتنا، وصور الجنس والخلاعة، وأثر هذه القنوات والمجلات واضح، وفعل الصورة في النفوس واضح، إنها ليست صوراً تنقل جراحتنا ومآسينا لنستعملها في الجهاد الإعلامي، ولكنها صور تنقل عوراتنا، إنها صور تنقل أجساد نساتنا.

عباد الله، وكم فعلت هذه الصور من الأفاعيل في الأسر، وكم افتري بها على المظلومين والمظلومات، وحصلت بها أنواع الفتن والويلات، حتى الداعيات إلى الله لم يسلمن من ذلك، فتلتقط صورهن في محاضرات النساء لتركب في الشبكة، وتتخذ هذه الصور أيضاً من قبل الذين يصطادون البنات في هذه الصور للفتيات في الأعراس ليبتزوهن بها بعد ذلك، وهذه أخت تتألم من أنها فوجئت بقيام من صورها أثناء قيامها بالوضوء في المدرسة، وأخرى فوجئت بطلاق زوجها، فإذا هي مكيدة مدبرة نتيجة صورة التقطت بكاميرا الهاتف المحمول، خمسة وخمسون كاميرا جوال تم ضبطها في ليلة زفاف واحدة.

النظر المحرم:

عباد الله، إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب شديد، ثم بعد ذلك عندما تلتقط وتنشر، فهل يجوز النظر إليها؟ {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (سورة النور: 30)، يغضوا من أبصارهم عن النظر إلى العورات، والنساء الأجنبية، وكل من لا يجوز النظر إليه، ويحفظ فروجهم عن الحرام، ((يا علي، لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى)) أي: نظرة الفجاءة، ((وليست لك الآخرة)) [رواه الترمذي (2777)].

عباد الله، حتى النساء لا يجوز لهن النظر إلى الرجال نظر الفتنة؛ ولذلك فإن العلماء قد بينوا من أحكام النظر ما هو مهم جداً في هذا الباب، فيقولون: إن الصورة التي لا يجوز التقاطها لا يجوز النظر إليها، ويقولون أيضاً: إن الصور التي تعلق حرمتها أشد من الموضوعة في مكان خفي، وإن الصور على الملابس من ذوات الأرواح محرمة كذلك بدليل: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى في بيت عائشة ستاراً فيه تصاوير لم يدخل، وقام على الباب، وعرفت الكراهية في وجهه، حتى قالت عائشة: "يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله، ماذا أذنبت؟ فقال:

((ما بال هذه النمركة؟)) قلت: اشتريتها لك، قال: ((إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم))، وقال: ((إن البيت الذي فيه صور لا تدخله الملائكة)) [رواه البخاري (2105)، ومسلم (2107)].
عباد الله، إننا نجد اليوم أن من النساء من فتنت بالنظر إلى صور الرجال؛ ولذلك فإنها إذا كانت تنظر نظراً يفتن فلا يجوز لها ذلك، وأما الرجل فأمره واضح في هذه القضية.
عباد الله، إن التوسع في التصوير قد أدى بنا إلى مآس أليمة، وكذلك فإن على المؤمن أن يطهر نفسه، وأن يحصن فرجه.

عباد الله، إن قضية نشر صور النساء التي تحدث الآن، وتبادلها في الجولات واضح التحريم، ولعلك -يا عبد الله- تتمعن في هذا الحديث، قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري: ((لا تباشر المرأة المرأة، فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها)) [رواه البخاري (5240)] ما معنى: ((فتنعتها لزوجها)) أي: تصفها لزوجها في بدنها ونعومتها، وجسدها أو ليونته، وما فيها من أنواع الجمال كصفة الوجه والكفين، ونحو ذلك، ((كأنه ينظر إليها)) الوصف الدقيق، فما بالكم إذا كانت صورة تنقله بدقته، وتأخذه بتمامه، فأيهما أولى بالتحريم؟ إذا كان قال: ((لا تباشر المرأة المرأة، فتنعتها لزوجها))، وهو متزوج! عنده امرأة! لا تنعتها ((كأنه ينظر إليها))، فما بالكم بالصورة التي تغني عن الوصف تماماً، وتزيد عليه، أيهما أولى بالتحريم!؟

إذن تناقل صور النساء -ولو كانت عما يسمى بالفصائح أو غيرها- أمور محرمة لا تجوز.

اللهم إنا نبرأ إليك مما فعل السفهاء منا، ونعوذ بك من هذا الباطل والفحشاء، ونجأ إليك أن تطهر قلوبنا وبيوتنا ومجتمعاتنا من الرذائل والفواحش يا رب العالمين.
أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على كل حال، أشهد أن لا إله إلا الله، وأصلي على محمد وآل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ما ترك خيراً إلا دلنا عليه، ولا شراً إلا حذرنا منه.

خطورة كاميرا الجوال:

هذه الشرور قد حذرنا منها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في هذه الشريعة التي بينت حكم الصور، والأمر بغض البصر، التي بينت تحريم الفحشاء وكل طريق يوصل إليها، التي أمرت بالستر والحجاب والعفاف، التي جاءت لتطهير المجتمع: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} (سورة النساء: 27).

عباد الله، إن هذه المخاطر العظيمة التي صارت اليوم في هذا الجوال ذي الكاميرا وغيره عندما تلتقط الصور، وتخزن الصور، وترسل الصور، وتعرض الصور، بوسائط عجيبة وتقنية رهيبة، إنه تخزين بكميات هائلة، وسرعة

في النشر والإرسال، وأساليب جذابة في العرض لكي يجملها في الأعين، ثم يتلقف هذه التقنية من الفسقة والفاسقات ما يريدون به إشاعة الفاحشة بيننا، وتبتز النساء، تصور النساء في الأعراس والحفلات، والمدارس والكلليات، وتركب على صور خليعة من الشبكة، ثم يحدث الابتزاز، وإرادة هدم البيوت، وهذه انتحرت، وهذه أصيبت بمرض مستمر، وتلك اعتزلت في بيتها ستة أشهر، وأخرى طلقها زوجها، وبعضهن بريئات، وبعضهن ظالمات مفتريات، فالبريئة من الذي يصدق براءتها، وأن هذه مركبة، وأما التقطت بغير علمها، ونحو ذلك، تخرب البيوت وتعطل النساء عن الزواج، وتحصل الفضائح في المجتمع.

يقوم شباب مسعورون من الذين يريدون أن تشيع الفاحشة بالتصوير والنقل والفضح دون مراعاة حرمان الله، إنهم ينتهكون حدود الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **((إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها))** [رواه البيهقي في السنن الكبرى (20217)].

لقد كان عليه الصلاة والسلام يبطش، متى كان يبطش؟ ما انتقم لنفسه قط إنما كان ينتقم عندما تنتهك حرمة الله، لقد أمر بإخراج من كان يصف النساء من البيوت، وحذر من الدخول قال: **((لا يدخلن هذا عليكن))** [رواه البخاري (5235)، ومسلم (2181)]، فحجبه مع أنه مريض ليس فيه شهوة النساء أصلاً، لكن لأنه صار يلتفت إلى معالم الجمال في المرأة، وينقل ذلك الوصف، وتأقي الفتاة الخبيثة الموكلة بأخذ الصور لتجلس بين المدعوات وقد امتلأ قلبها حقداً على هذه العائلة المحترمة بيدها الجوال لتصوير وتنقل للعروس وغيرها من النساء الحاضرات، وتُنقل الصور، وتوزع في الاسطوانات، وفي مواقع الإنترنت، ليفاجأ هذا بصورة زوجته قد أخذت خلصة، والآخر بصورة زوجته، أو ابنته، أو أخته، ونساء أهل بيته، أسفرت القضية عن قطع للأرحام، أسفرت القضية عن ترك بعض المخلصين لحضور الزواجات، وفعلاً إنه قرار صائب عندما لا تكون هناك الاحتياطات، فأعرب العدد من الرجال عن اتفاقهم مع نسائهم على عدم حضور حفلات الزفاف مع أنها لأقارب خشية هذه القضية.

وكذلك صارت هناك الحاجة حقيقة للاحتياطات الكثيرة، إذا كان الكفار يحتاطون، هم يقولون: مخاوف لدينا في مراكز اللياقة البدنية من لوس أنجلس إلى تورانتو من قضية الهاتف المحمول، وامتد المخاوف إلى الشركات التي تخشى عملية التجسس الصناعي، ومنعت شركة تويوتا ضيوفها وزائرها من حمل الهواتف ذات الكاميرات، وكذلك اشترطت حكومة كوريا الجنوبية على الشركات أن يصدر الجهاز المزود بكاميرا صوتاً عالياً عند التقاط أي صورة، فإذا كان البوذيون عندهم شيء اسمه الاحتياط، والعمل على منع ما ينتهك الخصوصية، نحن عندنا قضية أعلى من الخصوصية؛ لأن خصوصيتنا في هذه الشريعة، في هذه الأحكام، في هذا الدين، في الأمانة التي حُمِّلناها.

إن هذا الأمر الذي يخشون منه لأجل السرقات الرقمية، نحن عندنا أعلى من الأشياء العلمية، والمعلومات، والمستندات التي يخشون تصويرها، عندنا أعراسنا، إنما أثن من ذلك، عندما تقوم جمعية حاملي أجهزة الاتصالات والنشر اليابانية بتوزيع ثلاثمائة ألف ملصق في مكاتب البلاد تحذر من القيام بالسرقات الرقمية، فإن عندنا ما يدعوننا إلى ما يدعو إلى أكثر من ذلك بكثير؛ لأنه أثن، وأشد حرمة من تلك الأشياء العلمية، وإذا كان يساورهم

القلق في برك السباحة، وأندية اللياقة، وغرف تبديل الملابس، فعندنا القضية شرعية دينية، مرتبطة برب العالمين، وبكتابه وبنبيه وبدينه، مرتبطة بالفضيلة، مرتبطة بشرف المسلم.

يا عباد الله، مطاعم تمنع دخول جوالات لمنع الإزعاج، مطاعم راقية في باريس، ومساجدنا تنتهك حرمانها بالجوالات الموسيقية، عباد الله، صارت القضية إذن الآن بحاجة إلى حراسات عند أبواب المدارس والكليات، والصالات والاستراحات، وتفتيش المدارس، إن القضية حتى في الحرم.

إن مسألة التصوير الذي يقوم به هؤلاء شيء عجيب، إن إنساناً في الصلاة لما رن جواله وأخرجه رأى الذي بجانبه صورة نانسي مجرم على الشاشة داخل المسجد، يضعون صور الفنانات، وذوات الفسق والفجور لتظهر، إن ولاء هذه المجرمة، وذلك الفاسق، وتلك الداعرة، وهذا الخبيث، ولاء شبابنا - كثير من هؤلاء المراهقين والمراهقات -، لماذا توضع هذه الصور المحرمة؟ لماذا توضع في واجهات الجوالات؟ ومشرف يأخذ جوالاً من طالب متهم بالتصوير ليرى فيه الويلات من الصور الفاضحات، وهذا يسرق، يخطف جوال سائق سيارة من يده، ويهرب، فيتصل سائق السيارة على الحرامي، ويقول: عيب عليك، صور بناتي في الجوال، قال: تستاهل.

عباد الله، المسألة الآن في هؤلاء المتساهلين في التصوير، الذين يحتفظون بصور بناتهم، وزوجاتهم، وأخواتهم لتنقل بعد ذلك، وتختلس، وتنسخ، وترسل، ثم الفساد الذي انتشر بسبب هذا، شيء لا يعلمه إلا الله، القضية خطيرة، ووصلت إلى الجاهرة، فبعضهم يفعل الفاحشة، ويصور، وينشر الصور: ((كل أمي معافي إلا الجاهرين)) [رواه البخاري (6069)، ومسلم (2990)]، ((إلا الجاهرون)) كما في رواية أخرى [مجمع الزوائد للهيتمي (17475)]، بلية عمت، وفضائح طمّت، ثم بعد ذلك تنتقل الصور لكي تظهر أن المجتمع كله هكذا، مع أن المجتمع فيه أخصار كثير، وأفاضل كثير، وأطهار كثير، لكن هكذا يعمم أن المجتمع كله هكذا، ليقال للذي ليس بفاسد: لا مناص من الفساد، محاولة إجبار الجميع على أن يكونوا هكذا.

ثم عندما نسمع بأن هناك من خرجت عمداً مع شباب، أو شاب، وتم التصوير، فإننا نقول: يا عباد الله، {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} (سورة النحر:6)، ((كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته)) [رواه البخاري (893)، ومسلم (1829)]، فتيات في عمر الزهور يخرجن بما حباهن الله به، يُشاهدن في الليل من شارع إلى آخر، وعلى متن الطائرات، وفي المطارات من بلد إلى آخر، قد تزينن بالملبوسات الشفافة، والعطورات الجذابة التي تريد أن تقول للشباب من أول وهلة مرحبة: أين أنت؟ تعال، اتبعني، وهلم، والخطوات، والالتفاتات، والحركات تدعو ورمش العين، والإشارات، خروج الفتيات، خروج البنات، والجوالات مع السائقين، ويريدون الآن سائقات، وعبارات الإعجاب بعربون الصداقة، والورقة، والإشارة، والبلوتوث الذي صار يغني عن الأوراق، ثم يقول بعض الناس: ننق في البنات، بناتي أثق بهن، تنصحه: يا أخي، بناتك يخرجن - أنت جاري - بمنظر لا يرضاه الله، قال: أنا واثق، واثق من ماذا؟ واثق من عقوبة الله التي ستزل عليك لتساهلك، واثق بماذا؟! أين الآباء؟! أين الإخوة؟! أين العقلاء؟! أين هؤلاء الرجال؟! أين الرجولة؟! ما معنى الرجولة!؟

الغيرة يا أهل الغيرة:

يا عباد الله، كاميرات جوالات، ورسيفارات، ودشات، وفتيات، هكذا يخرجن متبرجات، أين الغيرة؟! الغيرة الحمية والغضب لحرام الله، الغيرة تغير القلب وهيجانه أنفة وحمية لله، لا أحد أغير من الله؛ ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله، يغار إذا رأى الناس يعصون الله، ويغار على بناته وحرماته هو.

لما أرادوا الدخول على عثمان لقتله، وأحاط به أعداؤه، جاءت امرأته نائلة، ونشرت شعرها أرادت أن تستره لتحميه، قال: خذي حمارك، فلعمري لدخولهم علي -يعني لقتلي- أهون علي من حرمة شعرك.

وعلي بن أبي طالب لما رأى شيئاً من الاختلاط في السوق، قال للناس: ألا تستحون؟ ألا تغارون أن يخرج نساءكم؟ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن الرجال والعلوج.

كان فتى على عهد النبي عليه الصلاة والسلام حديث عهد بعرس يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم أثناء حفر الخندق في وسط النهار ليذهب إلى امرأته، ثم يرجع إلى الحفر، فوجدها واقفة بين البابين لما ذهب إليها، فأهوى إليها بالرمح مباشرة ليطعنها به، أصابته الغيرة على امرأته، قالت: اكفف عليك رمحك، وادخل البيت لتنظر ما الذي أخرجني، فدخل فإذا هو بحية عظيمة منطوية على فراشه.. الحديث، هذا الذي تعلق قلبه بامرأته، وليطمئن إليها، ليس عنده مانع أن يخترقها برمح؛ لأنه رآها بين البابين، فما بالكم الآن أين كثير من الفتيات في هذه المجمعات التجارية؟! بين البابين؟!

عباد الله، حتى بعض الكفرة الذين عندهم شيء من سلامة الفطرة عندهم غيرة، فما بال أهل الإسلام؟ نحن لا نوافق على فعل بعض الكويين الذين تم الإبلاغ في بلادهم عن اثني عشر هجوماً بمض الكبريتيك على بعض الأجساد التي تعرت في الشارع غيرة، لكن عندنا غيرة إيمانية أقوى من هذا يا عباد الله، ونرى الطرق الشرعية من النصيحة، والموعظة، وإنكار المنكر، والقيام لله بالحجة.

الله يغار، والأنبياء يغارون، والمؤمنون يغارون، ومن عنده شهامة وغيرة يغار، بل حتى ذكور الماعز تغار، والديكة والإبل والقروذ يغارون، فلو جعلت اثنين من الديكة بين الدجاج لرأيت قتالاً شنيعاً تدمي منه الريش، فكيف بالحال بين البشر؟

يا عباد الله، البخاري روى في صحيحه حديثاً عجيباً يبين حتى الغيرة بين القروذ عندما روى عمرو بن ميمون الأودي -والحديث في صحيح البخاري-: عن قرد جاء بقردة فاضطجع، ثم مد يده لها، فاضطجعت بجانبه، فلما نام انسلت، وجاء قرد آخر، فذهب معها -إذن الأول الزوج والثاني هو الغريب- ثم شعر زوجها؛ فانتفض وأزعجه، ثم صارت المطاردة، واجتمعت القردة، فتجمعت، وقاموا برجمها، قال عمرو بن ميمون الأودي من كبار التابعين من تلاميذ عبد الله بن مسعود الثقة الصادقة يقول: "فرجتها معهم" [رواه البخاري (3849)]، والحادثة وقعت في اليمن.

إذا كان هذا القرد عنده غيرة، فما بال أهل الإيمان؟ أين ذهبت غيرتك عندما تأمر المرأة امرأتك أن تصافح الأقارب من الرجال، وأن تجلس مع الرجال سواء كانوا من إخوانك أو لا، وهي كاشفة ينظر إليها هذا وهذا، ثم يدلي هذا بنظراته لينظر إليها ضحكة من نكتة فلان أم لا؟ لماذا تجعلها أصلاً في مجلس الاختلاط؟ يا عباد الله، هؤلاء الذين يرضون لنسائهم أن يخرجن بالعباءات المزخرفة المزينة المطيبة، هؤلاء أين الغيرة؟ هل يريدون أن يجعلوا من نسائهم لوحات فنية ينظر إليها الغادي والرائح، يستمتع بمظهرها غيرك؟ أين ذهبت الغيرة من الرجال الذين يسافرون بنسائهم إلى خارج البلاد، إلى أماكن السفر والتعري والتبرج؟ أين الغيرة عند الذين يتركون بناقم يسافرون إلى بلاد بعيدة من أجل الدراسة والتعليم - كما يقال - لا محرم، ولا حسيب، ولا رقيب؟ أين الغيرة من الذين يتركون بناقم وأخواقم يسافرون المسافات الطويلة بلا محرم؟ أين الغيرة من أولئك الرجال الذين تتكلم نساؤهم مع اللاعين والمطربين والفنانين على القنوات الفضائية أمام الله وخلقه لإبداء الإعجاب بالفنان والمطرب، والمشاركة في برامج الواقع، والتصويت بالصوت المباشر للمكات الجمال، وما يسمى بهذا من القبح والخلاعة؟ أين الغيرة ممن يسمح لامرأته أن تداخل مداخله على الهواء مباشرة، وتكلم المذيع؛ لأجل ساقط من الساقطين؟

والذي يأخذها إلى السوق متبرجة، عباءة مخصرة ضيقة جداً، وغطاء شفاف، وعندما يناصحه ناصح، يقول: أنا ما وضعتها لك الذي يريد ينظر ينظر، رجل يجيء مع أخته في غاية التبرج بهذه الأصباغ، وعندما ينكر عليه يقال: يا أخي لا تنظر أنت، لماذا تنظرون، الوقح الذي جاء بها الآن، ثم ينكر على غيره النظر. أعرابي من الأعراب في القديم لما رأى رجلاً ينظر إلى زوجته، ويقلب نظره فيها طلقها، ونحن لا نقول طلقها؛ لأنه لا ذنب لها، لكن الأعرابي طلقها، ولما عوتب في ذلك قال:

وأترك حبيها من غير بغض * ولكن كثرة الشركاء فيه**

إذا وقع الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتبهه**

وتجتنب الأسود ورود ماء * إذا رأت الكلاب ولغن فيه**

يؤتى إلى أب يقال له: هناك فتاتان تمشيان تعاكسان في المنتزه، يقول: أنا قلت لهم لا تروحووا بعيد.

عباد الله، عندما نسمع هذا التساهل الفاضح، وقلة الغيرة، عندما نسمع اللامبالاة، والله القلب يحترق، ثم بعد ذلك يقال: كيف ضبطت فلانة مع فلان في استراحة؟ كيف ظهرت صورة فلانة مع فلان في كاميرا، في الجولات، في المواقع؟

مررت على المروءة وهي تبكي * فقلت لها: لم تبكي الفتاة**

فقلت: كيف لا أبكي وأهلي * جميعاً دون خلق الله ماتوا**

عباد الله، مشية الرجل مطأطي الرأس، وامرأته بغاية التبرج، وعندما ينكر عليه يقول: أنا كلمتها يا شيخ، كلمها أنت، ما هذا الضعف؟ ما هذا الخور؟ أين الرجولة عندما يترك الرجل زوجته تعرض لون الجلد على الصائغ، وعلى غيره من صاحب الإكسسوارات والملابس ليختار اللون المناسب لبشرتها.

إذا كان زوج وزوجة في العصر العباسي لما تقدا للشكاية طالبتة بمائة دينار من صداقها، فأنكر الزوج، فجاءت الشهود، فطلب القاضي من المرأة أن تكشف وجهها للشهود؛ ليعرفوا أنها فلانة، فقال: أعطيتها المهر كله؛ لأنه غار أن تكشف المرأة للشهود في مجلس القضاء، في شيء يجوز النظر إليه، في حال الاضطرار، لماذا يحدث هذا؟

كثرة الذنوب والمعاصي، قال ابن القيم: من عواقب المعاصي أن تطفئ في القلب نار الغيرة، لماذا يحدث هذا؟ انسياق وراء العواطف، فإذا عرف، وقيل له ورأى من بعض أهل بيته ما لا يرضاه الشرع لان، والتمس الأعذار، والتمس المخارج، وغض الطرف، لماذا قلة الغيرة، وانتشار المنكرات؟ سوء التربية، يترى الصغير وينشأ وهو يرى أمه تخرج بلا ضوابط شرعية، وأبوه لا يغير! وأخته تفعل ما شاءت، وأبوه لا يمنع! وتأثر بحياة الغرب، ونقدم اليوم سيدات المجتمع اللاتي يقلن: نحن من المهتمات بالسفر والتنقل من بلد لآخر للتعرف على الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم، والبرامج ما قصرت، والقنوات الفضائية، ومناظر العري، ودعاة الفتنة، وأعداء الفضيلة، إلى من نشكوا؟ إلى من نلجأ؟ والله لا ملجأ إلا إلى الله، هذا دين، وهذه أعراضنا!

اللهم إنا نسألك أن تردنا إلى الحق رداً جميلاً، اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، اللهم إنا نسألك أن تطهر قلوبنا، وأن تحصن فروجنا، اللهم إنا نسألك التقى والعفاف والغنى، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم إنا نسألك أن تحارب من حارب الفضيلة، اللهم كف أيديهم، وشرد بهم، واقطع دابرهم، وأخرس ألسنتهم، وشل أيديهم، الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في عبادك يا رب العالمين.

اللهم نسألك الأمن والإيمان لبلادنا وبلاد المسلمين، من أراد بلدنا هذا بسوء فأشغله بنفسه، ورد كيده في نحره، اللهم إنا نسألك الأمن والإيمان، والسلامة والثبات على الإسلام يا رحيم يا رحمن.

سيحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.